

الكشوفات الأوروبية لإفريقيا: الدوافع والطرق والتأثيرات بالقرنين 18 و19م  
*Europeans in Africa: Motivations, Exploration Methods, and Consequences :18th-19th Centuries.*

ترمزي محمد\*<sup>1</sup> Termzi Mohamed

[TERMZI.Mohammed@univ-tam.dz](mailto:TERMZI.Mohammed@univ-tam.dz)

عبد الرحمان نواصر Abdulrahman Nawaser

[nouacerabd@gmail.com](mailto:nouacerabd@gmail.com)

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست.

جامعة امين العقال الحاج موسى أقي اخاموك – تامنغست – الجزائر

DOI: 10.46315/1714-014-002-043

الإرسال: 2025/01/08 القبول: 2025/05/20 النشر: 2025/06/16

\*\*

ملخص:

تستعرض الدراسة الكشوفات الأوروبية لإفريقيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مركزة على دوافعها وأساليبها وتأثيراتها. تسلط الضوء على الدوافع الاقتصادية، مثل البحث عن الموارد والطرق التجارية، والسياسية، كالتوسع الإقليمي وتعزيز النفوذ، والعلمية، مثل استكشاف المجهول وتوثيق التنوع البيئي والثقافي. تناقش الأساليب التي استخدمتها القوى الأوروبية لتحقيق أهدافها، ومنها التوقيع على معاهدات مع القادة المحليين، استخدام القوة العسكرية، والاستعمار المباشر وغير المباشر. كما تستعرض دور البعثات العلمية والدبلوماسية في دعم هذه الأهداف. تتناول الدراسة التأثيرات المتعددة للكشوفات على إفريقيا، بما في ذلك استغلال الموارد الطبيعية، وتدمير النظم الاجتماعية التقليدية، وانتشار الثقافة الأوروبية والدين واللغة. كما توضح كيف أحدثت الكشوفات تغييرات جذرية في الحياة اليومية للشعوب الأفريقية، وأثرت على مجريات تاريخ القارة. تسعى الدراسة لتقديم تحليل شامل عبر مراجعة الأدلة التاريخية، لفهم التأثيرات طويلة الأمد لهذه الكشوفات على إفريقيا والعلاقات بين القارات.

الكلمات المفتاحية: الدوافع، الكشوفات، التغييرات، الاتفاقيات، غرب إفريقيا.

Abstract:

The study explores European explorations of Africa during the 18th and 19th centuries, focusing on motivations, methods, and impacts. It highlights economic goals like resource extraction and new trade routes, political ambitions such as territorial expansion, and scientific interests in exploring and documenting Africa's diversity. European powers employed treaties, military force, and colonial rule, alongside scientific and diplomatic missions to achieve their objectives. The impacts included economic exploitation, the disruption of traditional social systems, and the spread of European culture, religion, and language. These explorations caused significant changes in African daily life and historical trajectories. By analyzing historical evidence, the study offers a thorough understanding of the long-term effects on Africa and its relationship **Keys words:** Geographical explorations, Trade routes, The African continent .

\*\*

## \*- مقدمة

شهدت القارة الإفريقية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تحولاً جذرياً نتيجة الكشوفات الأوروبية، التي تُعد من أبرز الأحداث المؤثرة في التاريخ الحديث. ارتبطت هذه الكشوفات بتنافس حاد بين القوى الأوروبية الساعية لتعزيز نفوذها العالمي، مدفوعةً بالثورة الصناعية والحاجة الملحة إلى الموارد الطبيعية والأسواق التجارية لتصريف منتجاتها. لم تكن إفريقيا مجرد أرض مجهولة تحتاج إلى اكتشاف، بل كانت تمثل محوراً استراتيجياً لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية وعلمية. أطلقت القوى الأوروبية حملات استكشافية منظمة هدفها دراسة الطبيعة الجغرافية والبيولوجية للقارة، وإقامة روابط تجارية مع المجتمعات المحلية. أسفرت هذه الكشوفات عن نتائج بارزة، مثل فتح طرق تجارية جديدة، وإنشاء مستعمرات، واستغلال الموارد الطبيعية على نطاق واسع. ومع ذلك، رافقت هذه العمليات آثار سلبية جسيمة، شملت استغلال السكان الأفارقة، والاستعمار القسري، والتغيرات الثقافية والاجتماعية العميقة.

تمثل هذه الكشوفات، وما تبعها من استعمار أوروبي، حقبة مفصلية في تاريخ القارة الإفريقية؛ إذ ساهمت في إعادة تشكيل ملامحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومع ذلك، يتطلب تحليل هذه المرحلة رؤية متوازنة تتناول الإنجازات العلمية والاقتصادية إلى جانب التبعات السلبية التي أثمرت على المجتمعات المحلية.

تتحدد الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة في محاولة فهم دوافع الكشوفات الأوروبية لأفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومدى تأثيرها على القارة، وكيفية تأثير هذه العملية على البنية الاقتصادية والاجتماعية لشعوبها. بناءً عليه، تطرح الدراسة الأسئلة التالية:

1. ما الدوافع الأساسية وراء الكشوفات الأوروبية لإفريقيا؟
2. كيف استخدمت القوى الأوروبية طرقاً وأساليب متنوعة لاستكشاف القارة؟
3. ما التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للكشوفات على الشعوب

### الأفريقية؟

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل شامل لهذه المرحلة التاريخية الهامة، وتقييم آثارها العميقة، مما يساهم في إثراء الفهم المعرفي حول العلاقات التاريخية بين إفريقيا وأوروبا. كما تُعد الدراسة خطوة نحو تحقيق فهم أعمق لتاريخ إفريقيا في سياق عالمي.

استعرضت الدراسات السابقة تأثير الكشوفات الأوروبية على المستعمرات الإفريقية، إلا أنها لم تتناول بشكل كافٍ التحليل المتوازن بين الإنجازات والتبعات السلبية لهذه الكشوفات. لذلك، تسعى هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة المعرفية.

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تحليل البيانات التاريخية الأولية (كالوثائق، والمراسلات، والمعاهدات)، إلى جانب الدراسات الأكاديمية الثانوية التي تناولت الكشوفات الأوروبية في القارة الإفريقية. كما سيتم استخدام منهج المقارنة بين النواحي الاقتصادية والاجتماعية للمرحلة ما قبل الكشوفات وما بعدها.

تشمل أدوات البحث المصادر المكتوبة التاريخية والأكاديمية، بالإضافة إلى التحليلات المقارنة بين التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن الكشوفات الأوروبية في إفريقيا.

### 1. حوافز الرحالة والمستكشفين الأوروبيين

اختلفت دوافع وأهداف الرحلات الاستكشافية تبعًا لاختلاف الرحالة والجهات الداعمة لهم. فمن بين هؤلاء من كانت المغامرة دافعًا رئيسيًا لاستكشاف المجهول، واكتشاف الغريب، والخروج عن المألوف. ومنهم من سعى إلى البحث عن مصادر الثروة والمال، محاولًا تحقيق مكاسب مادية عبر التجارة أو الحصول على جوائز ومكافآت محددة.

كما كانت الدوافع الدينية محركًا لعدد من المستكشفين والرحالة، الذين حملوا على عاتقهم مهمة التبشير بعقيدتهم في الأراضي المكتشفة حديثًا. ومن جانب آخر، دفع الفضول المعرفي وخدمة العلوم والجغرافيا بعض المستكشفين إلى محاولة ملء الفراغات المعرفية التي كانت تميز المناطق الداخلية من القارة الإفريقية.

أخيرًا، جذبت النزعة السياسية الاستعمارية مجموعة أخرى، فعمل هؤلاء على استكشاف مناطق جديدة لخدمة مصالح تجارتهم الوطنية، أو لجمع المعلومات التمهيدية التي تيسر السيطرة على تلك المناطق وإخضاع سكانها، تطبيقًا لمقولة: «تعرف على الشعوب لتسيطر عليهم وتقوِّدهم»

وبالنظر إلى هذه الأهداف والدوافع العامة، نجد بين المستكشفين والرحالة الأوروبيين رجال علم ودين، وهواة أسفار، وآخرين مغامرين دفعهم حب المخاطرة إلى كشف أحوال السكان والبلدان.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الأهداف العامة تنطبق على المستكشفين والرحالة الأوروبيين الذين تركزت معظم جهودهم في القرن التاسع عشر على القارة الإفريقية، سعيًا لإشباع الفضول العلمي، التبشير الديني، ومكافحة العبودية، والغزو والاستعمار (Michel, 1986, p. 78)

يمكن تقسيم هؤلاء المستكشفين إلى فئتين رئيسيتين: المستكشفون المحترفون والمستكشفون بالصدفة. يشمل المستكشف المحترف من يتبنى الترحال كهواية ويقوم بعدة رحلات كبرى، مما يجعله يستحق لقب "رحالة". أما المستكشف بالصدفة، فهو الذي يشارك في عمليات الاستكشاف نتيجة ظروف طارئة، مثل الناجي من تحطم سفينة، أو المأمور من قبل قائده العسكري أو المسؤول

الإداري لاكتشاف منطقة معينة. وغالبًا ما تُخصص الاكتشافات "المأمورية" لخدمة أغراض تجارية أو سياسية.

تنطبق هذه التصنيفات على المستكشفين الفرنسيين، لا سيما أولئك الذين توجهوا إلى بلاد البيضان في القرن التاسع عشر. إذ بلغ عددهم تسعة عشر فردًا من المدنيين المغامرين، والمستخدمين التجاريين، والضباط العسكريين، والعلماء المتخصصين. يمكن تصنيف هؤلاء إلى فئتين: المتمرسين والعاديين. تضم فئة المستكشفين المتمرسين (من المدنيين والعسكريين) أولئك الذين قاموا بعدة رحلات كبرى، ومن بينهم على الأقل رحلة مهمة واحدة.

من بين المدنيين نذكر: موليين (Mollien)، كايي (Caillié)، رافنل (Raffenel)، باني (Panet)، ابن المقداد (Bou El Mogdad)، بلانشي (Blanchet)، صوليي (Soleillet)، دولس (Douls)، كروفل (Gruvel)، وشودو (Chudeau) أما العسكريين، فتقتصر الفئة على الضباط البحري ماج (Mage)، الذي قام، بالإضافة إلى رحلته عبر أرض البيضان الموريتانية، برحلة طويلة داخل السودان الغربي، نُشرت سنة 1861 تحت عنوان "رحلة إلى السودان الغربي (السنغامبيا النيجر)" (Mage, 1868، صفحة 233p)

أما الفئة الثانية، فقد اعتبرنا أصحابها مجرد "مستكشفين"؛ لأنهم اقتصرُوا على القيام بمهام استكشافية محدودة. ولم ينجزوا رحلات طويلة، بالإضافة إلى أنهم جاءوا للاستكشاف مأمورين وليسوا محترفين. تشمل هذه الفئة من العسكريين كايي (Caillié)، فلكران (Fulcrand)، فينسان (Vincent)، بورل (Bourrel)، وعلي صل (Alioune Sall)، ومن المدنيين صولير (Soller)، دوني (Donnet)، وفايبر (Fabert). (محمذن، 2006، صفحة 115).

## 1. الثورة الصناعية وأثرها على الكشوفات الجغرافية في إفريقيا

لعبت الثورة الصناعية دورًا كبيرًا في تحفيز الرحلات الاستكشافية، لا سيما من خلال تطور وسائل النقل والمواصلات، وتحسن تقنيات النشر والطباعة، وظهور الجمعيات الجغرافية، بالإضافة إلى توسع حركة الاستعمار.

### 1.1 تطور وسائل النقل والمواصلات

كان استخدام الطاقة البخارية في تشغيل آلات المصانع، وتسيير القاطرات والسفن، إنجازًا بارزًا من إنجازات الثورة الصناعية. هذا التطور دفع إلى مد آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية، محققًا قفزة نوعية في مجال المواصلات البرية.

أما المواصلات البحرية، فلم تكن بمنأى عن هذه التطورات، حيث مكّن توليد الطاقة البخارية من تشغيل السفن والبواخر وصناعتها. شهدت المواصلات البحرية تقدمًا كبيرًا مع تطور تقنيات ووسائل

صناعة السفن، فظهرت سفن وبواخر تعمل بالقوة البخارية، تسع لآلاف المسافرين، وقادرة على نقل عشرات آلاف الأطنان من البضائع.

كما شجع استخدام الطاقة البخارية الناتجة عن الفحم، والطاقة الكهربائية المولدة من البترول، على تطور الصناعات الحديدية. فبدأ الحديد يحل تدريجياً محل الخشب في صناعة السفن، ما جعلها أكثر قدرة على مواجهة الكوارث المناخية. نتيجة لذلك، أصبح الربط بين مختلف أنحاء العالم يتم بسرعة أكبر وفي ظروف أكثر أمناً.

لا غرو أن يسهم هذا التطور في وسائل النقل، وانتشار المحركات البخارية، واستخدام الكهرباء والبترول، واختراع المحرك ذي الاحتراق الداخلي، في تسهيل حركة الكشوفات الجغرافية وتشجيع الرحلات الاستكشافية.

## 1.2 تطور الطباعة والنشر

من التطورات الهامة الناجمة عن الثورة الصناعية، ما يتعلق بتقنيات الطباعة والنشر. فقد انتشرت المطابع وأدخلت تحسينات تقنية جوهرية على عمليات الطباعة، إلى جانب تطور صناعة الورق والحبر. ساهمت هذه التطورات في خفض تكاليف الطباعة وزيادة انتشارها، مما سهّل وسرّع من نشر الكتب والجرائد والمجلات، ومن ثمّ انتشار المعرفة والمعلومات الجغرافية بشكل أوسع. (Mollien, 1820, p. 124)

سارعت البورجوازية بدعم المؤلفين والأدباء، مشجعة نشر وتعميم أفكارهم الداعية إلى التجديد والتغيير، لأن ذلك يتوافق مع فلسفة تلك الطبقة وطموحاتها، وهي طبقة صاعدة تسعى إلى تبوء المكانة التي يخولها لها امتلاك ناصية العلم والسيطرة على الموارد الاقتصادية.

استفادت كتابات الرحالة والمستكشفين من هذه الوضعية، فتم الإسراع بنشرها، مما منحها شعبية كبيرة وربط الرأي العام الغربي بالمستكشفين والرحالة. على سبيل المثال، نُشرت رحلة موليين بين سنتي 1816-1818 في السنة الموالية (Mollien, 1820, صفحة 125)

وأعيد نشرها سنة 1830. كما نُشرت رحلة كايي عبر الصحراء التي استمرت من 1824 إلى 1828 في سنة 1830. انتشرت معظم الرحلات والتقارير الاستكشافية إما في شكل مؤلفات مطبوعة أو في المجالات المتخصصة التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر وتضاعفت في النصف الثاني من ذلك القرن، بدعم من الجمعيات الجغرافية. (Caillié, 1830, pp. 291-373)

### 3- الجمعيات الجغرافية

بدأت هذه الجمعيات في الظهور منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر. (Lejeune، 1993، الصفحات 90-118).

وكما يتضح من تسمياتها، فإن هذه الجمعيات، التي أسسها بعض العلماء والباحثين والساسة، كانت تهتم بالدراسات والكشوفات الجغرافية عبر مختلف بقاع العالم، ملء الفراغات الموجودة خاصة في العديد من المناطق الإفريقية الداخلية.

بعد هزيمة فرنسا سنة 1870 في حربها مع ألمانيا، ولّد استيقاظ الشعور القومي موجة جديدة من الجمعيات الجغرافية في مختلف المدن الفرنسية. كان لظهور الجمعيات الجغرافية المختلفة دور كبير في دفع حركة الكشوفات الجغرافية. فقد دعمت هذه الجمعيات المستكشفين والرحالة، خصوصاً الشباب المولعين بالرحلات والأسفار.

قدمت الجمعيات الجغرافية التمويلات اللازمة لبعض المستكشفين والرحالة، وخصصت بعض الجوائز المالية لمن يسبق إلى اكتشاف منطقة ما (Edmé François، 1830، الصفحات 355-357). فضلاً عن تزويد المستكشفين بالتوجيهات والإرشادات والأدوات العلمية الضرورية، أسهمت هذه الجمعيات طوال القرن التاسع عشر في تغطية أخبار الكشوفات الجغرافية، بحيث باتت تقارير ورحلات المستكشفين تصل إلى القراء في فرنسا فور انتهاء الرحلة.

على سبيل المثال، لم يكد الرحالة ليوبولد باني ينهي رحلته بين السنغال والمغرب عبر الأراضي الموريتانية سنة 1850، ويقضي أربعة أشهر في فرنسا، حتى نشرت المجلة البحرية نص رحلته تلك. (Panet، 1850، الصفحات 473-554).

ينطبق الأمر نفسه على رحلة الضابط ماج إلى منطقة تكانت التي انتهت سنة 1860 (Mage، 1860، صفحة 29). حيث نشرت في السنة نفسها، وكذلك رحلتي بول (Bourrel، 1861، صفحة 77). وفينصان وغالبية الرحالة والمستكشفين الآخرين (Vincent، 1860، الصفحات 49-64).

كانت الجمعيات الجغرافية تتلقف تقارير ورحلات المستكشفين وتسارع إلى نشرها في المجلات المتخصصة التي كانت تصدر في ذلك الوقت.

### 4 - المجلات

ليس من الغريب أن يتصادف مجيء الرحالتين موليين وكايي إلى المنطقة مع صدور إحدى أهم تلك المجلات وهي "حوليات الرحلات"، لكن أهم تلك المجلات تبقى "مجلة الجمعية الجغرافية الباريسية" التي بدأت الظهور سنة 1826.

في بداية العقد السادس من القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي تعتبر مرحلة القفزة النوعية في تاريخ الاكتشافات الفرنسية بالمنطقة، برزت مجلتان لا يقل دورهما عن دور المجلتين السابقتين، وهما "حول العالم" و"المجلة الجغرافية".

كما أن "المجلة الاستعمارية" لا تقل أهمية عن المجلات السابقة. بدأت هذه المجلة في الظهور سنة 1832 وأخذت تسميات متعددة على مدار القرن، فأصبحت تدعى "المجلة الجزائرية الاستعمارية" بين سنتي 1856 و1880، ثم "المجلة البحرية الاستعمارية" بين سنتي 1881 و1886، ثم "المجلة البحرية" سنة 1887.

أصدرت غالبية الجمعيات الجغرافية مجلات خاصة بها على غرار مجلة الجمعية الجغرافية الباريسية. أسهمت مختلف هذه النشريات في تغطية وتشجيع حركة الاكتشافات التي أصبحت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مسألة تسابق مع الزمن لبطس السيطرة الاستعمارية على المنطقة (Périodique، 1865-1816، صفحة 70)

## 2- الكشوفات الأوروبية لإفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

ازداد اهتمام أوروبا بالكشوفات الجغرافية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نتيجة الحاجة الملحة إلى المواد الطبيعية التي تزخر بها إفريقيا، بغية إشباع الاقتصاد الأوروبي المتعطش للمواد الخام، وخاصة اليد العاملة. ويرجع ذلك إلى الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر والعقود التالية، لا سيما في بريطانيا وفرنسا، ثم هولندا وبلجيكا وإسبانيا فيما بعد. وتندرج الحركة الكشفية التي عرفتها إفريقيا خلال هذه الفترة في إطار النهضة الفكرية التي كانت تعرفها أوروبا في ذلك الوقت. ومع ذلك، لم تكن هذه الحركة علمية بحتة، بل اتسمت أيضاً بطابع مادي، حيث نتج عن الرحلات الاستكشافية فوائد متعددة عادت على أوروبا، مما أدى إلى التنافس والتسابق في مجال البحث والكشف.

عند دراسة المادة العلمية المتعلقة بهذه الفترة، يلاحظ الباحث صعوبة التمييز بين الحركة الجغرافية التي استهدفت استكشاف إفريقيا والحركة الاستعمارية التي كان هدفها الوصول إلى ثروات القارة. ومع ذلك، يمكن التمييز بين مرحلتين رئيسيتين من مراحل الاستكشاف الجغرافي لإفريقيا في هذه الحقبة، وهما:

1. مرحلة الكشف الجغرافي العلمي: استهدفت هذه المرحلة التعرف إلى إفريقيا في مختلف جوانبها الطبيعية والبشرية وغيرها. وقد امتدت من القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر. في هذه المرحلة، كانت دوافع المستكشفين علمية بحتة، نظراً لقلّة الأعمال والمعلومات الدقيقة التي قدموها في مجال الكشف الجغرافي للقارة.
2. مرحلة الكشف الجغرافي الاستعماري: في هذه المرحلة، غابت الدوافع العلمية، وبرزت الدوافع الاستعمارية التي تهدف إلى التغلغل والهيمنة والاستنزاف والاستيطان. وبدأت هذه المرحلة في منتصف القرن التاسع عشر.

وعند الحديث عن الكشوفات الجغرافية الأوروبية لإفريقيا خلال هذه الفترة، ينبغي الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبته الجمعيات الجغرافية الأوروبية في دفع الحركة الاستكشافية وتطوير علم الجغرافيا. ومن أبرز هذه الجمعيات، جمعية إفريقيا البريطانية التي تأسست في نهاية القرن الثامن عشر، ويُعزى الفضل في تأسيسها إلى السير جوزيف بانكس، الذي كان من أبرز المؤيدين لحركة الكشوفات الجغرافية البريطانية. (كام، 1983، صفحة 86).

في القرن 19، كانت جمعية الجغرافية الباريسية من أبرز الجمعيات التي لعبت دورًا بارزًا في بعث حركة الاكتشافات الفرنسية. يُعتبر القرن 19 عصر تأسيس الجمعيات الجغرافية الاستكشافية التي لعبت دورًا كبيرًا في اكتشاف الداخل الإفريقي. (الجوهري، 1976، صفحة 208).

على الرغم من الدوافع المتنوعة لإنشاء الجمعيات الجغرافية الأوروبية، فقد قدمت هذه الجمعيات خدمات جليلة لتطور علم الجغرافيا ورسم الخرائط. ورغم أن الأوروبيين استكشفوا سواحل إفريقيا في أواخر القرن الخامس عشر، فإن داخل القارة وأدغالها وغاباتها وأنهارها بقيت مجهولة بالنسبة لهم لقرون عديدة. وكانت معلوماتهم عن إفريقيا مقتصرة على ما سجله الرحالة حسن الوزان، المعروف بـ"ليو الإفريقي"، من بيانات حول الأماكن التي زارها أو كتب عنها، باستثناء بعض المحاولات الفردية الأوروبية المعزولة وغير المنظمة.

وترجع أسباب جهل الأوروبيين بالداخل الإفريقي إلى عوامل متعددة، منها:

• وجود الحاجز الإسلامي في شمال إفريقيا، الذي حال دون محاولات التوغل الأوروبي في القارة.

• تشكل الصحراء الكبرى، بأطرافها الممتدة، عائقًا أمام المستكشفين الأوروبيين، نظرًا لعدم معرفتهم بمسالكها الوعرة. (كام، 1983، صفحة 86)

تتميز السواحل الإفريقية بجغرافيا ساحلية جافة وقليلة التعرج، وهو ما لا يساعد على إنشاء مرافق بحرية طبيعية.

### 3- الاكتشافات الجغرافية البريطانية لإفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

رغم الموقع الاستراتيجي لبريطانيا المطل على المحيط الأطلسي، إلا أنها دخلت مجال الكشوفات الجغرافية متأخرة مقارنةً بالبرتغال وإسبانيا وهولندا. فقد اعتمدت البحرية البريطانية في بداياتها على القرصنة البحرية ضد السفن الإسبانية القادمة من العالم الجديد، والمحتملة بالمعادن النفيسة، مما أدى إلى صراع طويل مع إسبانيا انتهى بسيطرة البحرية البريطانية على البحار. وقد شجعت هذه السيادة البحرية بريطانيا على الانطلاق في مغامرات استكشافية جغرافية جديدة. وتُعتبر بعثة جون كابوت أول بعثة إنجليزية للكشوفات الجغرافية، والتي مهدت الطريق لاحقًا لمزيد من الرحلات الاستكشافية نحو إفريقيا. (صالح، 2009، صفحة 91).

#### 4- الوجود البريطاني في القارة الإفريقية خلال القرنين السادس عشر إلى التاسع عشر

بدأ الوجود البريطاني في غرب إفريقيا خلال القرن السادس عشر، تحديداً في مصب نهر غامبيا، وسواحل سيراليون، وساحل الذهب (غانا)، ونيجيريا. كانت بريطانيا تستخدم هذه المناطق كمراكز رئيسية لتجارة العبيد الرائجة في تلك الحقبة. ولم تهتم بريطانيا باستكشاف الداخل الإفريقي قبل وصول بنيامين دزرائيلي إلى السلطة، حيث ركزت على الحفاظ على وجودها في الشريط الساحلي المطل على المحيط الأطلسي.

تغيرت سياسة الحكومة البريطانية في مجال الكشف الجغرافي لإفريقيا بعد تولي بنيامين دزرائيلي رئاسة الحكومة عام 1874، حيث بدأ يشجع الكشوفات والتوسع على طول الشريط الساحلي. في عام 1850، اشترت بريطانيا المحطات التجارية الدنماركية في ساحل الذهب، بعد أن تنازل عنها الدنماركيون نتيجة تهديدات جيش الأشتاتي. وقد تمكنت بريطانيا من فرض نفوذها الكامل على ساحل الذهب، لا سيما بعد ازدهار تجارة زيت النخيل.

من أبرز المستكشفين البريطانيين الذين بدأوا رحلاتهم من ساحل الذهب في مجال الكشوفات الجغرافية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر:

##### 1. جيمس بروس:

يعود الفضل في توجيه الحركة الكشفية الكبرى نحو إفريقيا إلى المستكشف جيمس بروس، الذي كان هدفه حل لغز نهر النيل ومشكلة نهر النيجر، لاعتقاده بارتباطهما ببعضهما. بدأ بروس رحلته عام 1768، حيث انطلق إلى جدة ثم عبر البحر الأحمر، ونزل في ميناء مصوع. من هناك، سافر إلى غوندار، عاصمة إثيوبيا. نجح بروس في إقامة علاقات مع ملوك إثيوبيا، وبعد رحلة استكشافية شاقة، وصل إلى بحيرة تانا، التي تُعد منبع النيل الأزرق. استطاع بروس استكشاف بعض أطراف البحيرة الشرقية والغربية والجنوبية، حيث شاهد النيل ينبع من المخرج الجنوبي للبحيرة. وقد أثارت المناظر الطبيعية الخلابة للبحيرة إعجابه، وساعدته هذه الرحلة على تأليف كتاب وثق فيه مشاهداته. وكان بروس يشعر بسعادة بالغة لاكتشافه هذا المصدر الهام، إذ كان أول أوروبي يصل إلى تلك المناطق.

##### 2. هنري صونت:

في بداية الربع الأول من القرن التاسع عشر، أرسل هنري صونت من قبل الحكومة البريطانية لاستكشاف أجزاء من إثيوبيا وساحل زنجبار. وفي عام 1822، أرسل مستكشفين آخرين إلى سواحل إفريقيا الشرقية والغربية جنوب خط الاستواء، حيث مكثوا هناك لمدة أربع سنوات، ورسوموا خرائط دقيقة للمنطقة. (رياض، 1965، صفحة 111).

### 3. مانجو بارك

يُعد مانجو بارك من أبرز المستكشفين البريطانيين الذين ساهموا في الكشوفات الجغرافية لإفريقيا خلال أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. بدأ رحلته الاستكشافية الأولى عام 1795، بعد أن كلفته الجمعية الإفريقية بهذه المهمة. وصل إلى ساحل غامبيا، حيث أقام لعدة أشهر، تعلّم خلالها لغة المانديغو، وهي من اللغات الرئيسية لقبائل الداخل الإفريقي المسلمة.

في عام 1796، انطلق مانجو بارك في رحلته الكشفية برفقة دليل محلي. وقد لقي في بدايتها ترحيبًا كبيرًا من السكان بسبب بشرته البيضاء، إذ كانت هذه الظاهرة نادرة بالنسبة لهم. غير أن هذا الترحيب لم يدم طويلًا، إذ تغيّر الاستقبال مع توغله في أعماق القارة، حيث تعرض للاعتداء والسرقة من بعض السكان المحليين. ومع ذلك، واصل رحلته متحدثًا بالمصاعب، حتى وصل إلى مدينة سيجو في السنة ذاتها، وهناك تمكن من الوصول إلى نهر النيجر وشرب من مياهه، ليكون من أوائل الأوروبيين الذين فعلوا ذلك. في عام 1804، أتم مانجو بارك رحلته الاستكشافية الثانية، هذه المرة برفقة فريق أكبر عددًا وتجهيزًا، وكان هدفها الرئيس التحقق من مسار نهر النيجر ومصبه. وقد شكّلت هذه الرحلة محاولة علمية جادة لفهم مجرى النهر الذي طالما حير الجغرافيين الأوروبيين. (رياض، 1965، صفحة 121)، لكنه تعرض للهجوم من قبل قطاع الطرق الأفارقة، ما أدى إلى وفاته قبل أن يحقق حلمه.

### 4. دافيد لفنجستون

يُعد دافيد لفنجستون من أبرز المستكشفين البريطانيين الذين ركزوا على استكشاف القسم الجنوبي من القارة الإفريقية، حيث كرّس أكثر من ثلاثة عقود من حياته (34 عامًا) لاستكشاف هذه المناطق. بدأ لفنجستون رحلته الأولى عام 1840، من مدينة كيب تاون، وقطع مسافة تُقدّر بنحو 1100 كيلومتر باتجاه الداخل، حتى وصل إلى منطقتي كورومان وكولوبنج.

كان الهدف الأساسي من هذه الرحلة هو الوصول إلى صحراء كلهاري، التي لم يسبق لأي أوروبي أن بلغها، إضافةً إلى بحيرة نقامي، التي طالما سمع عنها كثيرًا من السكان المحليين. وخلال هذه الرحلة، تعرّف لفنجستون لأول مرة على قبائل البوشمن، التي كانت تعيش في عزلة نسبية عن المستعمرين الأوروبيين. في عام 1850، شرع لفنجستون في رحلة استكشافية جديدة، هذه المرة برفقة زوجته وأطفاله. وخلال هذه الرحلة، تعرّضت العائلة للإصابة بمرض الملاريا المنتشر في المنطقة، إلا أنهم تمكنوا من مواصلة السير، حتى وصلوا إلى نهر لينياتي، أحد الروافد الرئيسية لنهر الزمبيزي.

ترك لفنجستون عائلته مؤقتًا ليواصل رحلته شمال شرق القارة، حيث تمكن من اكتشاف نهر الزمبيزي لأول مرة. كما واصل تقدمه حتى وصل إلى ميناء لواندا، الواقع على الساحل الغربي للقارة الإفريقية. وقد شملت اكتشافاته عددًا من المناطق الجغرافية الواسعة، وكان من أبرز إنجازاته اكتشاف شلالات فيكتوريا، التي أطلق عليها هذا الاسم تكريمًا للملكة البريطانية فيكتوريا. (إبراهيم، 2000، صفحة 220).

### 5- الاكتشافات الجغرافية الفرنسية لإفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

على الرغم من أن فرنسا كانت قد حققت وحدتها السياسية في وقت مبكر، وتمكنت من إقامة حكومة مركزية وجيش قومي منظم، فإنها تُعد من الدول التي تأخرت نسبيًا في مجال الكشوفات الجغرافية، مقارنةً

بجارتها إسبانيا. ويُعزى هذا التأخر إلى انشغال فرنسا، خلال المراحل الأولى من هذه الفترة، بتأمين استقرارها الداخلي وترسيخ حدودها في القارة الأوروبية، وهو ما دفعها إلى خوض سلسلة من الحروب، لا سيما مع إيطاليا، نتيجة التوسع الفرنسي على حساب الأراضي الإيطالي. (نوار و محمود محمد، 1999، صفحة 74) من أبرز الشخصيات الفرنسية التي ساهمت في تشجيع حركة الكشوف الجغرافية خلال القرن السابع عشر، الكاردينال ريشيليو، رئيس الوزراء في عهد الملك لويس الثالث عشر، والوزير كولبير، المسؤول عن الشؤون الاقتصادية في عهد الملك لويس الرابع عشر. وقد لعب كلاهما دورًا محوريًا في وضع الأسس الأولى للتوسع البحري الفرنسي خارج القارة الأوروبية.

فقد عمل ريشيليو على بناء أسطول بحري فرنسي قوي، بهدف حماية المصالح الاقتصادية والسياسية لفرنسا في الخارج، والدخول في مجال الاكتشافات الجغرافية على غرار القوى البحرية الكبرى في ذلك الوقت، مثل البرتغال، وإسبانيا، وهولندا. وكان إنشاء هذا الأسطول نقطة تحول في السياسة الفرنسية تجاه التوسع الخارجي، حيث أتاح لفرنسا الإمكانية الفعلية للمشاركة في الاستكشافات البحرية العالمية. أما كولبير، فقد اتخذ خطوات أكثر تنظيمًا لتكريس القوة الاقتصادية لفرنسا، إذ أسس شركة الهند الشرقية الفرنسية، التي شكّلت أداة فعالة للتوسع التجاري والاستكشافي. كما عمل على زيادة عدد السفن الفرنسية بشكل كبير، حيث ارتفع عددها من 20 سفينة فقط في عام 1661 إلى ما يزيد عن 140 سفينة في سنوات قليلة. وقد أنشأ كولبير إدارة خاصة تربط بين البحرية والتجارة والشؤون العسكرية، بهدف توحيد الجهود في سبيل تعزيز النفوذ الفرنسي عبر البحار. (صالح، 2009، صفحة 88).

بدأ الوجود الفرنسي في إفريقيا عندما شيدت أول قاعدة مركزية في المنطقة، متمثلة في مركز سانت لويس سنة 1638. ساهمت الجمعية الجغرافية بباريس، التي تأسست سنة 1821، في اكتشاف العديد من المناطق الداخلية لإفريقيا (عباد، 2011/2010، الصفحات 105-108)

من أبرز هذه الاكتشافات الوصول إلى حاضرة تمبكتو الاستراتيجية، الذي تم بواسطة رينيه كاييه بعد أن خصصت الحكومة الفرنسية جائزة مالية قدرها 10,000 فرنك فرنسي لأول مكتشف يقوم برحلة من الجزائر إلى السنغال مروراً بتمبكتو. ساهم المستكشفون الفرنسيون العسكريون، الذين اكتسبوا خبرة في التعامل مع السكان المحليين وربط العلاقات معهم، في تسهيل التوسع الفرنسي في إفريقيا. (عباد، 2011/2010، صفحة 108)

## 6- أبرز المستكشفين الفرنسيين في إفريقيا

### ليوبولد بانيه

يُعد ليوبولد بانيه أحد أبرز المستكشفين الفرنسيين في إفريقيا خلال القرن التاسع عشر. وقد بدأ مسيرته ضابطاً في الجيش الفرنسي العامل في السنغال، حيث استطاع أن يكتسب خبرات ثقافية ولغوية مهمة، من خلال تعلمه للغتين العربية والبولارية، اللتين تُعدان من اللغات الرئيسية في مناطق غرب إفريقيا. وبفضل هذه الخبرات، تمكن بانيه من الانخراط في البيئة المحلية، حيث تنكّر في هيئة تاجر محلي، مما سهّل عليه الاندماج والتنقل داخل المجتمعات الإفريقية دون إثارة الشكوك. في عام 1852، غادر مدينة

سانت لويس السنغالية متجهًا شمالًا نحو عمق الصحراء، حتى بلغ مدينة شنقيط (في موريتانيا حاليًا)، والتي كانت تُعد محطة علمية وتجارية هامة في تلك الحقبة. وقد واصل بعد ذلك رحلته عائداً إلى أوروبا عبر مدينة مرسيليا.

لقد مكنت هذه الرحلة بانيه من جمع معلومات ميدانية مهمة عن طبيعة الحياة في الداخل الإفريقي، وأسهمت في توسيع معرفة الفرنسيين بجغرافيا وثقافات منطقة الساحل والصحراء. (عباد، 2011/2010، الصفحات 115-140).

قدم بانيو وصفاً دقيقاً للمنطقة وأوصى حكومته بالاستثمار فيها والتحالف مع شيوخ المنطقة لتأمين التجارة الرابحة في الذهب وريش النعام والعاج.

#### أبدون – أوجين ماج (1830–1869)

يُعد أبدون – أوجين ماج من أبرز الضباط الفرنسيين المستكشفين في إفريقيا، وخاصة في منطقة السودان الغربي. أمضى فترة طويلة من حياته في هذه المنطقة، حيث قام باكتشاف مساحات واسعة من الأراضي الواقعة في السنغال وحوض النيجر الأعلى. كما استطاع نسج علاقات وثيقة مع الشيخ أحمد التيجاني، حفيد الحاج عمر الفوتي، أحد أهم القادة الدينيين في غرب إفريقيا، الأمر الذي ساهم في تعزيز الحضور الفرنسي في المنطقة، سواء على المستوى السياسي أو التجاري.

#### بول صوليبه (1842–1886)

يُعتبر بول صوليبه من رموز الكشوفات الجغرافية الفرنسية في إفريقيا، ويُقارن تأثيره بما قدمه المستكشفون البريطانيون والأمريكيون في القارة. قام صوليبه بعدة رحلات استكشافية انطلقت من الصحراء الجزائرية، مروراً بمناطق الساحل، وصولاً إلى إفريقيا الشرقية. وقد قدّم وصفاً دقيقاً لمدينة الأغواط، شمل سكانها، وعاداتهم، وصناعاتهم المحلية. كما سعى إلى بناء علاقات مع زعماء القبائل، ما ساعد في تسهيل الاتصال التجاري مع فرنسا.

تميّزت بعثاته باكتشاف مناطق غنية بالموارد الطبيعية، كما رسم خرائط دقيقة للمنطقة، سلّمها للحكومة الفرنسية لتُستخدم في دعم السياسة الاستعمارية. وقد أَلّف عددًا من الكتب التي تُعد مراجع مهمة في تاريخ الاستكشاف الجغرافي، من أبرزها "استكشاف الصحراء الوسطى" و"مستقبل فرنسا في إفريقيا"، واللذان يُبرزان البُعد الاستراتيجي للكشوفات الفرنسية في إفريقيا. (عباد، 2011/2010، صفحة 140)

#### بارفي لويس مونتي (1855–1925)

يُعد بارفي لويس مونتي آخر المستكشفين الفرنسيين البارزين في منطقة غرب إفريقيا. وقد بدأ رحلته الاستكشافية على رأس بعثة مكونة من عناصر فرنسية وسنغالية، عبر من خلالها عددًا من العواصم والمدن المتصلة جغرافيًا بين السنغال وليبيا، مروراً بحوض النيجر ومنطقة تشاد. وقد أسفرت هذه البعثة عن نتائج جغرافية وعلمية مهمة، كان لها بالغ الأثر في رسم صورة أوضح للطبيعة الطبوغرافية والبشرية لتلك المناطق. تقديراً لإنجازاته، قلّدتها الحكومة الفرنسية وسام الشرف، الذي يُعد من أعلى درجات التكريم الرسمية في فرنسا.

## بيير سافورنيا دي برازا

كان دي برازا ضابطاً في الجيش الفرنسي، أرسلته الحكومة الفرنسية في بعثة استكشافية إلى منطقة نهر الكونغو والأقاليم المجاورة. بين عامي 1874 و1877، قام بسلسلة من الرحلات التي أسفرت عن اكتشاف مصب نهر الكونغو، وأتاحت له فرصة اللقاء بالمستكشف البريطاني هنري ستانلي في المنطقة التي أصبحت تُعرف لاحقاً باسم مدينة برازافيل، والتي سُميت تيمناً به. وقد مهدت اكتشافات دي برازا الطريق أمام فرنسا لتأسيس مستعمرة الكونغو الفرنسية، وأسهمت إسهاماً كبيراً في تعزيز التوسع الاستعماري الفرنسي في إفريقيا الوسطى، من خلال تأمين النفوذ الفرنسي على ضفاف الكونغو، ومنافسة التمدد البلجيكي والبريطاني في المنطقة. (إبراهيم، 2000، صفحة 217).

## 6- الرحالة الأوروبيون والمغامرات الاستكشافية في نهاية القرن الثامن عشر

مع نهاية القرن الثامن عشر، شهدت المناطق البيضانية في غرب إفريقيا توافداً ملحوظاً من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين، لا سيّما الفرنسيين، في إطار سياق استعماري متصاعد. وقد كان هذا التوافد مدفوعاً برغبة الدول الأوروبية، وعلى رأسها فرنسا، في تعزيز نفوذها في منطقة حوض نهر السنغال، لا سيما في ظل التنافس الحاد مع قوى أوروبية أخرى مثل بريطانيا وهولندا. ولم يكن الحضور الأوروبي في هذه المناطق مقتصرًا على الفرنسيين فحسب، إذ قامت بريطانيا كذلك بإيفاد عدد من الرحلات الاستكشافية التي استهدفت الأراضي البيضانية، في محاولة للظفر بموطئ قدم استراتيجي في المنطقة.

## الرحالة جوزف ألكسندر لوبراسور

يُعد جوزف ألكسندر لوبراسور من أبرز المستكشفين الفرنسيين الذين ساهموا في تكريس الحضور الفرنسي في المناطق البيضانية. وقد تمثل هدفه الأساسي في تعزيز السيطرة الفرنسية على تجارة الصمغ العربي، التي كانت تشكل أحد الأعمدة الاقتصادية الحيوية في تلك المنطقة، إلى جانب مقاومة المنافسة البريطانية والهولندية المتزايدة.

وقد خلّف لوبراسور عددًا من المذكرات المهمة، التي وثّق فيها تفاصيل النشاط التجاري في المنطقة، مركّزًا على الدور المحوري الذي كانت تلعبه تجارة الصمغ، والعاج، والذهب، فضلًا عن تجارة الرق، في تعزيز الوجود الفرنسي وربطه بالاقتصاد الأوروبي.

(محمذن، 2006، الصفحات 69-70).

كانت تهيمن عليها إمارة التراززة، والتي لعبت دورًا سياسيًا واقتصاديًا محوريًا في التحكم بمسارات التجارة القادمة من الداخل الإفريقي. كما تناول لوبراسور في مذكراته نشاط إمارة لبراكنة المجاورة، مسلطًا الضوء على الديناميات التجارية فيها، وعلى التنافس الحاد بين القوى الأوروبية، خاصة في ما يتعلق بالسيطرة على طرق التجارة وتبادل السلع.

### الرحالة دومنيك لاميرال

في عام 1779، قاد الرحالة الفرنسي دومنيك لاميرال بعثة استكشافية إلى منطقة حوض نهر السنغال، حيث قام بزيارة عدد من النقاط التجارية في المناطق البيضانية، والتي كانت تمثل مراكز مهمة لتجارة الملح والصمغ العربي. وقد أجرى لاميرال تبادلات تجارية مباشرة مع التجار المحليين، خصوصاً فيما يتعلق بسلعة الملح التي كانت تحتل مكانة اقتصادية بارزة في تلك الحقبة.

وثق لاميرال ملاحظاته وانطباعاته في كتابه الشهير "إفريقيا والشعب الإفريقي من منظور جميع روابطهم مع تجارتنا ومستعمراتنا"، حيث قدّم من خلاله وصفاً إثنوغرافياً واقتصادياً دقيقاً للمنطقة، مع التركيز على التفاعل بين الأوروبيين والسكان المحليين، وكذلك على المصالح الاستعمارية الفرنسية في سياق التوسع التجاري في إفريقيا الغربية. (محمذن، 2006، صفحة 70).

قدّم الرحالة الفرنسي دومنيك لاميرال وصفاً دقيقاً لطبيعة السكان المحليين وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية في مناطق حوض نهر السنغال. أشاد ببساطة نمط حياة السكان وحرية معيشتهم في الصحراء، مشيراً إلى أن زعماء القبائل تميزوا بالتواضع والحرص على مناقشة قضايا السلم بشكل ودي وسلبي، مما ساعد في حفظ الاستقرار النسبي في المنطقة رغم التحديات المحيطة.

### الرحالة جان باتيست ليونارد دوران

بدأ الرحالة الفرنسي جان باتيست ليونارد دوران نشاطه في منطقة حوض نهر السنغال مطلع عام 1785م، حيث تابع رحلات استكشافية هدفت إلى توثيق الخصائص الجغرافية والثقافية لهذه المناطق، إضافة إلى دراسة العلاقات التجارية بين القوى الأوروبية والسكان المحليين. (عباد، 2010/2011، صفحة 64).

قام الرحالة جان باتيست ليونارد دوران بجولة استكشافية شملت النقاط التجارية النهرية في منطقة حوض نهر السنغال، حيث بنى علاقات تجارية متينة مع بعض أمراء القبائل البيضانية. وقد أبرم دوران معاهدتين مع عدد من زعماء هذه القبائل، تضمنت شروطاً تهدف إلى إلغاء التعامل التجاري مع البريطانيين على طول الساحل الأطلسي، في خطوة لتعزيز النفوذ الفرنسي في المنطقة.

كما قدم دوران وصفاً مفصلاً للعلاقات الاجتماعية بين البيضانيين وجيرانهم من الزنوج، مشيراً إلى التعايش السلمي الذي كان قائماً بين قبائل دارمانكور (المعروفة أيضاً باسم إدو الحاج) والزنوج، مما يعكس طبيعة العلاقات المتبادلة التي استمرت رغم الاختلافات الإثنية والثقافية (محمذن، 2006، صفحة 74).

### الرحالة بيير ريمون دوبريغون

كان بيير ريمون دوبريغون من الناجين من غرق سفينة فرنسية على شواطئ موريتانيا بالقرب من جزيرة آركين عام 1785م. بعد أن وقع في الأسر لدى البيضانيين، قضى بريغون حوالي أربعة عشر شهراً متنقلاً في المنطقة، مما أتاح له فرصة الاطلاع المباشر على الحياة المحلية وزيارة عدة أماكن. وثق بريغون تجربته في كتاب قيم سلط فيه الضوء على الحياة اليومية للبيضانيين والظروف الصعبة التي مر بها أثناء فترة أسره.

### الرحالة كزافي كولبرى

زار كزافي كولبرى منطقة حوض نهر السنغال في أواخر عام 1785م، حيث ركزت رحلته على دراسة النقاط التجارية النهرية، ولا سيما نقطة جيني. وثق كولبرى تفاصيل تجارة الصمغ العربي وأسعاره، إضافة إلى الإتاوات التي كان يدفعها الأوروبيون للبيضانين مقابل مرورهم أو استغلالهم للمناطق. كما وصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الصحراء الكبرى، مشيراً إلى امتلاك البيضانين لقطعان من الخيول والأغنام والأبقار التي كانت تشكل مصدر رزقهم الأساسي.

### الرحالة فيلونوف جيوفروا

يُعد فيلونوف جيوفروا آخر الرحالة الفرنسيين الذين زاروا حوض نهر السنغال في القرن الثامن عشر، حيث قام بجولته الاستكشافية بين عامي 1785 و1788م. قدّم جيوفروا معلومات مهمة حول القبائل البيضانية ونفوذها السياسي، خاصة على الضفة اليسرى لنهر السنغال. كما أشار إلى وجود أفراد من البيضانين يشغلون مناصب مستشارين في مملكتي دامل وكايور، وذكر حضورهم في المفاوضات التي تمت بشأن توقيع اتفاقيات مع الفرنسيين لتسليم جزيرة الرأس الأخضر إلى فرنسا. (محمذن، 2006، الصفحات 74-78).

### 7- نتائج الاكتشافات الجغرافية الأوروبية لإفريقيا خلال القرنين 18 و19م

أدت الاكتشافات الجغرافية الأوروبية في القارة الإفريقية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى نتائج كان لها تأثير إيجابي على أوروبا، في حين شكّلت نقمة على الشعوب والأراضي التي جرت استكشافها. فقد قدّم المستكشفون معلومات دقيقة، من خلال خرائط وإحصاءات مفصلة، حول الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدول والمناطق التي تم استكشافها، وهو ما مهد الطريق لمرحلة الاستعمار الأوروبي المنظم للقارة.

### في المجال الجغرافي:

يُعد اكتشاف منبع ومصب نهر النيل من أبرز الإنجازات التي تحققت خلال هذه الفترة، حيث شكّل هذا التحدي محور العديد من المحاولات الاستكشافية. لم يتم التوصل إلى نتائج قطعية حول مصدر النهر حتى القرن التاسع عشر، عندما قام المستكشف جيمس بروس برحلة استكشافية تهدف إلى تتبع النيل ومعرفة منبعه، وهو ما ساهم بشكل كبير في تطوير المعرفة الجغرافية حول القارة الإفريقية. (علي، 1913، صفحة 57).

اكتشاف منبع ومصب النيجر: ارتبط اكتشاف منبع ومصب نهر النيجر بالعديد من المستكشفين والجمعيات الاستكشافية، خاصة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية (محمد، دت، صفحة 52). تمكن هنري بارت من حل لغز نهر النيجر بين عامي 1852 و1884 (مخلص و إبراهيم جابر ، 2020).

### اكتشاف منبع ومصب نهر الزمبيزي:

ارتبط اكتشاف نهر الزمبيزي بشكل رئيسي بالمستكشف البريطاني ديفيد ليفينغستون، الذي كان هدفه الأساسي الوصول إلى صحراء كلهاري وبحيرة بكامي. بدأ ليفينغستون رحلته الاستكشافية عام 1850، وعلى

الرغم من تعرضه وأسرته لمرض الملاريا خلال الرحلة، تمكن من اكتشاف نهر الزمبيزي لأول مرة. شكّل هذا الاكتشاف إضافة جغرافية هامة وساهم في فتح مناطق جديدة للاستكشاف الأوروبي في جنوب القارة الإفريقية. (إبراهيم، 2000، صفحة 220).

#### اكتشاف منبع ومصب نهري السنغال وغامبيا:

يُعزى الفضل في استكشاف منابع ومصبات نهري السنغال وغامبيا إلى المستكشف البريطاني ريتشارد جوبسون، الذي قام برحلات ميدانية دقيقة هدفت إلى دراسة هذه الأنهار المهمة في غرب إفريقيا. إلى جانب ذلك، ساهم المستكشفون الفرنسيون مثل جوستاف ناشتجال وبول دو شيللو في تقديم بيانات ومعلومات تفصيلية حول الجغرافيا الطبيعية والاجتماعية للمنطقة، مما عزز الفهم الأوروبي لطبيعة الأنهار ومحيطها، وفتح الطريق لمزيد من الاستكشاف والتوسع الأوروبي. (مخلص وإبراهيم جابر، 2020، صفحة 8).

#### اكتشاف منبع ومصب نهر الكونغو:

يُعتبر نهر الكونغو آخر الأنهار الكبرى في إفريقيا التي تم اكتشافها واستكشافها بشكل كامل. ارتبط هذا الإنجاز بالمستكشف الإيرلندي هنري مورتون ستانلي، الذي كلفته الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية برحلة استكشافية عام 1874. خلال هذه الرحلة، تمكن ستانلي من اكتشاف نهر اللوالابا والتأكد من ارتباطه بنهر الكونغو، مما ساهم في فهم الشبكة النهرية المعقدة للمنطقة. كان لهذا الاكتشاف أثر مباشر في تأسيس مستعمرة الكونغو البلجيكية، وفتح الباب أمام التوسع الاستعماري في وسط إفريقيا. (الجمل و عبد الله، 2002، الصفحات 35-36).

#### الجانب المأساوي للكشوفات الأوروبية ومقاومات إفريقيا جنوب الصحراء:

رافق الكشوفات الجغرافية الأوروبية لإفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين العديد من الفظائع التي تركت آثارًا كارثية على الشعوب الأصلية في إفريقيا جنوب الصحراء. تمثلت هذه الفظائع في عمليات إبادة جماعية، واستغلال وحشي للموارد الطبيعية والبشرية، إلى جانب القمع العنيف للمقاومات الشعبية التي حاولت التصدي للتوسع الاستعماري. كان هذا الاستعمار مصحوبًا بسياسات عنصرية وممارسات استغلالية أدت إلى تدمير المجتمعات التقليدية، وتهجير السكان، وتدهور الظروف المعيشية، مما يبرز الجانب المظلم والكئيب لحقبة الكشوفات الأوروبية في القارة الإفريقية.

#### الإبادة الجماعية للهييرو والناما في ناميبيا

في الفترة ما بين 1904 و1908، ارتكبت القوات الاستعمارية الألمانية إبادة جماعية بحق شعبي الهييرو والناما في منطقة ناميبيا الحالية. إذ قامت القوات الألمانية بتصفية نحو 65,000 إلى 100,000 شخص من هذه الشعوب، حيث تم تدمير المجتمعات المحلية عبر القتل المباشر، التشريد، والعمل القسري. هذا الحدث يعتبر من أبشع المذابح التي ارتكبتها القوى الاستعمارية الأوروبية في القارة الإفريقية، حيث كان الهدف هو القضاء على هذه الشعوب كجزء من محاولات السيطرة على الأرض والموارد. (طاهر، م، 2004، صفحة 102)

### مجازر الكونغو في ظل حكم ليوبولد الثاني

في الفترة ما بين 1885 و1908، تعرض الشعب الكونغولي لمجزرة مروعة تحت حكم ملك بلجيكا ليوبولد الثاني، الذي كان يسيطر على الكونغو كملك خاصة. في تلك الفترة، قُتل أكثر من 10 ملايين كونغولي نتيجة القتل الجماعي، العمل القسري، والمجاعة التي فرضها الحكم الاستعماري. كانت هذه المجازر جزءاً من سياسة استخراج الموارد بشكل وحشي، حيث جُلب السكان للعمل في استخراج المطاط والموارد الأخرى تحت ظروف غير إنسانية. (Hoch، 1985، صفحة 145)

### مجازر الخنق بالدخان

خلال القرن 19، لجأت القوات الاستعمارية الأوروبية إلى استخدام تقنيات قمعية مروعة ضد الشعوب الإفريقية، ومن بينها "الخنق بالدخان" حيث كانت القوات الاستعمارية تضرم النار في مدخل الكهوف التي كان يختبئ فيها السكان المحليون، مما يؤدي إلى قتلهم اختناقاً. تم تطبيق هذه التقنية في عدة مناطق من إفريقيا، بما في ذلك الجزائر والمغرب، وقد أدت إلى مقتل العديد من المدنيين الذين قاوموا الاستعمار. (Braudel، 1993، صفحة 78)

### مقاومة ساموري توري

بين عامي 1882 و1898، قاد ساموري توري، الزعيم الإفريقي المرموق، مقاومة شرسة ضد الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا. أسس توري مملكة واسعة وقاد معارك مستمرة ضد القوات الفرنسية التي كانت تحاول فرض سيطرتها على المنطقة. استمرت مقاومته لسنوات عدة حتى تم أسره في عام 1898، لكن مقاومته ألهمت العديد من حركات التحرر في إفريقيا وأصبح رمزاً للثورة ضد الاستعمار. (طه، 2007، صفحة 201).

### ثورة الزنج

منذ عام 869م وحتى 883م، حدثت ثورة الزنج في جنوب العراق، حيث تمرد العمال الزنوج الذين كانوا يعملون في الزراعة والصناعة ضد العبيد البيض الذين كانوا يسيطرون على المنطقة. ورغم أن هذه الثورة كانت محلية في العراق، إلا أن أحداثها ألهمت العديد من الحركات التحررية في إفريقيا وأثرت بشكل كبير في الوعي الإفريقي بالحقوق الإنسانية والعدالة الاجتماعية. (الصلابي، 2005، صفحة 312).

### \*- خاتمة

تعد الكشوفات الأوروبية لإفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من أبرز الفترات التي شكلت التاريخ الحديث للقارة الأفريقية والعالم. استهدفت هذه الكشوفات فتح آفاق جديدة أمام القوى الأوروبية للبحث عن موارد وأسواق جديدة، وتحقيق الهيمنة السياسية والاقتصادية على مناطق واسعة من إفريقيا. تناولت هذه الدراسة بشكل شامل الدوافع الكامنة وراء هذه الكشوفات، الأساليب التي استخدمتها القوى الأوروبية في تحقيق أهدافها، والتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الناتجة عنها.

تعددت الدوافع وراء الكشوفات الأوروبية لإفريقيا، حيث كانت الطموحات الاقتصادية على رأسها. سعت القوى الأوروبية إلى اكتشاف واستغلال الموارد الطبيعية الغنية في القارة الأفريقية مثل الذهب والألماس

والمعادن الثمينة. إلى جانب ذلك، كانت هناك دوافع سياسية تمثلت في التوسع الإقليمي وبسط النفوذ الأوروبي على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الإفريقية، في إطار التنافس بين القوى الأوروبية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا.

كما لعبت الدوافع العلمية والثقافية دورًا في هذه الكشوفات، حيث اهتم المستكشفون الأوروبيون بدراسة جغرافيا القارة ونباتاتها وحيواناتها وشعوبها. نشرت العديد من الكتب والتقارير التي وثقت هذه الرحلات والاكتشافات، مما ساهم في تعزيز المعرفة الأوروبية بإفريقيا وأثار فضول المزيد من المستكشفين. استخدمت القوى الأوروبية مجموعة متنوعة من الأساليب لتحقيق أهدافها في إفريقيا. شملت هذه الأساليب توقيع اتفاقيات ومعاهدات مع القادة المحليين، استغلال التنافس والنزاعات الداخلية بين القبائل والشعوب الإفريقية، واستخدام القوة العسكرية لفرض السيطرة. كما اعتمدت القوى الأوروبية على بعثات علمية ودبلوماسية لإقامة علاقات مع المجتمعات المحلية، تمهيدًا لإدخال النظم الإدارية والاقتصادية الأوروبية.

أدت الكشوفات الأوروبية إلى تغييرات جذرية في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في إفريقيا. أنشئت نظم اقتصادية جديدة تابعة للقوى الأوروبية، حيث تم استغلال الموارد الطبيعية الإفريقية وتوجيهها لخدمة المصالح الأوروبية. أدى ذلك إلى تشويه الاقتصادات المحلية وتدمير العديد من الصناعات التقليدية. اجتماعيًا، تسببت الكشوفات والاستعمار في تغييرات كبيرة في التركيبة السكانية، حيث انتشرت الأمراض الأوروبية وتزايدت معدلات الهجرة القسرية والعمل القسري. كما أسفرت عن تغييرات في البنية الاجتماعية والثقافية، حيث تأثرت الهويات والثقافات الإفريقية بالثقافة الأوروبية وانتشرت اللغة والدين الأوروبيان. تبرز أهمية هذه الدراسة في تقديم فهم شامل ومتكامل لفترة تاريخية مهمة في تاريخ إفريقيا والعالم. من خلال تحليل الدوافع والأساليب والتأثيرات، يمكننا التعرف على العوامل التي ساهمت في تشكيل التاريخ الحديث لإفريقيا وفهم التحديات التي واجهتها الشعوب الإفريقية نتيجة لهذه الكشوفات. تسهم هذه الدراسة في إثراء المعرفة التاريخية وتعزيز الوعي بأهمية الأحداث التاريخية وتأثيرها على الحاضر والمستقبل. تشكل الكشوفات الأوروبية لإفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فترة تاريخية غنية بالدروس والعبر. من خلال فهم هذه الفترة وتحليلها بشكل علمي وشامل، يمكننا ليس فقط إعادة النظر في تاريخنا المشترك، بل أيضًا المساهمة في بناء مستقبل أفضل قائم على الفهم والتعاون المتبادل. تعد دراسة التاريخ أداة قوية لفهم الحاضر وبناء المستقبل، ومن خلال هذه الدراسة، نأمل في تقديم إسهام فعال في هذا المجال.

إن الكشوفات الأوروبية لإفريقيا ليست مجرد أحداث تاريخية بل هي جزء من الحاضر الذي نعيشه. تأثيراتها ما زالت ملموسة في العلاقات الدولية، والهياكل الاقتصادية والاجتماعية، والثقافة. من خلال تعزيز فهمنا لهذه الفترة، يمكننا بناء جسور تواصل أفضل بين الشعوب، وتعزيز التعاون الدولي، وتحقيق تنمية مستدامة تحترم حقوق الإنسان وتدعم التنوع الثقافي.

نأمل أن تكون هذه الدراسة دافعاً لمزيد من البحث والتحليل، وأن تسهم في تسليط الضوء على الجوانب المظلمة والمضيئة لهذه الفترة التاريخية، مما يساعدنا في بناء مستقبل مشرق ومستدام للقارة الأفريقية والعالم.

\*\*

## قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد عباد. (2010/2011). المستكشفون الأوروبيون في غرب إفريقيا- بين الاستكشاف والاستعمار من نهاية القرن 18 إلى نهاية القرن 19 م (مذكرة ماجستير، قسم التاريخ). كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، الجزائر.
2. إبراهيم عبد المجيد محمد. (د. ت). دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث (ط. 1). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
3. إشراف صالح. (2009). أصول التاريخ الأوروبي الحديث (ط. 1). الكويت: دار ناشري.
4. عيسى علي إبراهيم. (2000). الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
5. عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين. (1999). التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. القاهرة: دار الفكر العربي.
6. جوزيف كام. (1983). المستكشفون في إفريقيا (الطبعة الأولى، ترجمة يوسف نصر). القاهرة: دار المعارف.
7. زاهر رياض. (1965). استعمار إفريقيا. القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر.
8. محمد حمدي علي. (1913). الاكتشافات الجغرافية من القرن 15 م إلى نهاية القرن 19 م (ط. 1). القاهرة: المطبعة الجمالية.
9. محمود بن محمذن. (2006). المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية). الدار البيضاء: منشورات معهد الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس.
10. شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم. (2002). تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (ط. 2). الرياض: دار الزهراء.
11. يسري عبد الرزاق الجوهري. (1976). الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية. كلية الآداب، جامعة المنيا.
12. بن طاهر، محمد. (2004). الاستعمار الأوروبي في إفريقيا وآثاره.
13. عبد الرحمن، طه. (2007). حركات المقاومة في إفريقيا. بيروت: دار الكتاب العربي.
14. الصلابي، علي. محمد. (2005). الفتح الإسلامي لإفريقيا. بيروت: دار ابن كثير.
15. Annales des Voyages. (1816-1865). Annales des Voyages, de la Géographie et de l'Histoire. Périodique, divers auteurs.
16. Dominique Bourrel. (1861). "Voyage dans le pays des Maures Brakna, Rive droite du Sénégal (juin-octobre 1860)". Revue Maritime et Coloniale, t.-second, septembre, pp. 510-545 et octobre.
17. Dominique Lejeune. (1993). Les sociétés de géographie en France et l'expansion coloniale au XIXème siècle. Paris: Albin Michel.

18. Eugène Mage. (1860). "Voyage au Tagant (Afrique centrale)". Revue Algérienne et Coloniale, t.-III, juillet-décembre.
19. Eugène Mage. (1868). Voyage dans le Soudan occidental (Sénégal-Niger) 1863-1866. Paris: Hachette.
20. Gaspard-Théodore Mollien. (1820). Voyage dans l'intérieur de l'Afrique et aux sources du Sénégal et de la Gambie. Paris: Imprimerie de Madame Veuve Courcier. 2 t., Deuxième Edition, Paris: Arthus Bertrand.
21. Henri Vincent. (1860). "Voyage et expédition au Sénégal et dans les contrées voisines. Voyage dans l'Adrar et retour Saint-Louis". Revue Tour du Monde.
22. Michel Mourre. (1986). Dictionnaire encyclopédique d'histoire. Paris: Bordas. 8 v., t.-3. (découverte).
23. René Caillié. (1830). Journal d'un voyage à Tombouctou et à Jenné dans l'Afrique centrale. Paris: Imprimerie Royale. Dernière Edition, Voyage à Tombouctou, Paris: La Découverte. 2 t.
24. Hoch, P. (1985). *The history of European colonization in Africa*
25. Braudel, F. (1993). The history of African peoples. Beirut: Dar Al-Tali'a.